ندوة « العوامل الجديدة في ميزان الصراع العربي - الاسرائيلي بعد كامب ديفيد »

بيروت ٢٣ - ٢٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١

د. غسان سلامة

عندما تكون قاعة الاجتماع مشرعة الابواب (او بالأحرى بلا ابواب) يدخل منها من يشاء (تقريباً) ولا ينقطع سيل الناس من خلالها ، عندما تضم هذه القاعة ، حسب الجلسات بين خمسين ومئة وخمسين شخصاً ، عندما لا تطلب الكلام حتى يوجّه مصوّر التلفزيون (او الفيديو) اضواءه القوية على عينيك التعبتين ، عندما يلتقي في القاعة عدد لا بأس به من المصورين الصحافيين والمراسلين ، والمحررين ، ومن لا تعرف سبب وجودهم بالضبط يمحي الحد الفاصل (وبرأينا الضروري) بين الندوة العلمية والمهرجان السياسي / الاعلاني . ويشعر الذي جاء للندوة وليسمع ويفهم ويناقش بحرج شديد إذ لا تتضح له هوية مخاطبه : هل هو الشخص الذي قبالته ، ام هو الجمع الحاضر / الغائب من حوله ام أنه الرأي العام الذي ينظر اليك ويستمع من خلال عدسة الكاميرا وثقب آلة الفيديو .

إن كلاً من هؤلاء المخاطبين المحتملين يستدعي بالضرورة خطاباً ونهجاً خاصين في المعالجة . إن النقاش العلمي ، الهادىء والرزين ، يستلزم فتح امكانية النقاش الفعلي ، ممّا يعني بالضرورة حضور عدد **محدود** من الباحثين وتأمين امكانية **فعلية** لهم للتدخل في سير النقاش ، مما يعني ذلك من ضمانات مختلفة ، تنظيمية وعلمية . ويستدعي الأمر ، إن امكن ذلك أيضاً ، توزيع سابق، متفق عليه مع المعنيين ، لأوراق البحث ولادوار التعقيب عليها والنقاش. يقتضي ذلك ايضاً ، بالطبع ، حصر النقاش في امور محدّدة قدر الامكان ، ممّا يعني تجنب التداخل بين اوراق الندوة ، بحيث لا يطرح الموضوع اكثر من مرة واحدة .

إن الندوات التي تنظّم حالياً في منطقتنا اصبحت باهظة التكاليف : انتقالاً ومكافآت وترجمة فورية وطباعة وتنظيماً . ولا بد لنا من التوقف قليلاً أمام هذه الممارسة العلمية لمحاولة استثمارها بأفضل طريقة . فالأمر ليس شكلياً بقدر ما يمثل فرصاً اضافية قد نضيعها من بين ايدينا لتثبيت الممارسة العلمية والديمقراطية ولتحويل لقاءات مثقفينا إلى مجالات رحبة من النقاش والتفاعل .

تلك هي الملاحظات التي قد تتبادر لذهن عدد منا حضروا الندوة التي نظمها معهد الانماء العربي في بيروت ما بين ٢٣ و ٢٧

تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ حول « العوامل الجديدة في ميزان الصراع العربي - الاسرائيلي بعد كامب ديفيد » . لقد عقدت الندوة واجتماعات فاس في اوجها فتداخل الثابت مع المتحول بشكل ايجابي احياناً ومشوش احياناً اخرى . ولكن هل كان بامكان اي من المدعوين قراءة حوالى ٣٤ بحثاً وزعت علينا وبعضها يتعدى ستيناً ، بل ثمانين صفحة ومن ثم الاستماع الى سيل متواصل من التعقيبات والمناقشات ؟

هذا لا يعني البتة أن المناقشات لم تكن حيّة دائماً ، أو أن الاوراق لم تكن في الاجمال مفيدة . يصعب التنويه بها جميعاً وإن اكتفينا بالأمثلة لذكرنا أولاً الورقة التي قدّمها **آلان جوكس** (فرنسا) حول « تحولات التوازن الاستراتيجي في اوروبا وتأثيره على الشرق الأوسط » ثم تعقيب **مروان بحيري** عليها.لقد كان الحوار ممتعاً في طرحه عدد من المفاهيم الاساسية كعلاقة الفعل ورمزه في سياق التعامل الدولي ، والانحياز المزدوج كمفهوم متميز عن اللاإنحياز ، وتحول النقاط الحارة في العالم الى اسواق من نوع جديد .

كما لا بد من الاشارة الى الورقة المفيدة التي قدّمها الباحث التركي **سميح فانر** عن « الاستراتيجية الامريكية في الشرق الأدنى ازاء تركيا وباكستان » ، وقد تضمنت هذه الورقة معلومات مفصلة عن التجهيزات التجسسية التي تديرها واشنطن في تركيا ، كما تشير الى الوزن المتزايد للسوق العربية في الاقتصاد التركي، والذي يزامن تحولاً ملموساً في ديبلوماسية أنقرة ازاء الصراع العربي - الاسرائيلي . كما عالج الباحث التحول الهائل في سياسة واشنطن ازاء باكستان بين ادارة كارتر التي كانت تعامل نظام الرئيس ضياء الحق بمزيج من الازدراء والعداء وبين الادارة الحالية التي لا تضيع فرصة واحدة للاعلان عن تبنيها الكامل لهذا « الحليف المهدد » . ويخلص الباحث الى امكانية توسيع الرقعة التي يغطّيها حلف شمال الاطلسي الى عدد من دول الشرق الاوسط ، لكنه يؤكد ان تركيا غير راغبة ابداً في لعب دور شرطي جديد لحماية المصالح الامريكية حتى منذ حصول الانقلاب العسكري فيها .

وقدم د. **عمر ابراهيم الخطيب** (جريدة الخليج بالشارقة) بحثاً مطولاً عن « العامل النووي في الصراع العربي - الاسرائيلي » تضمن تحليلاً لعناصر الهجوم الاسرائيلي كافة على المفاعل النووي العراقي . ورأى الباحث في خلاصته أن اسرائيل عازمة على اعاقة جهود البلدان العربية للحصول على التكنولوجيا النووية كي تبقى اسرائيل محتكرة لها على الدوام . إن ذلك يتطلب من البلدان العربية أن لا تثق ابداً بجدية كل المحاولات الدولية الهادفة الى جعل الشرق الأوسط منطقة منزوعة السلاح النووي . فلا مندوحة للعرب عن السعي للحصول على الخيار النووي ، وعليهم ألاّ يركنوا للالتزام بالحماية النووية من اي جهة كانت ، ولا بد من التأكيد على حتمية أن تتبلور سياسة عربية مشتركة حول الموضوع النووي .

ومن بين العناصر التي حظيت بقدر كبير من اهتمام المنتدين ، المعاهدة التي وقعتها سورية مع الاتحاد السوفياتي في خريف ١٩٨٠ . عالجت **اليزابيت بيكار** ، الباحثة الفرنسية ، هذه المعاهدة فاعتبرتها « امرا بالغ الأهمية » وقد استعادت تاريخاً موجزاً للعلاقة بين هذين البلدين مركزة على المؤتمر السادس لحزب البعث سنة ١٩٦٣ واتفاق ٢٢ / ٤ / ١٩٦٦ لبناء سد الفرات ، واتفاق ١٠ / ٧ / ١٩٦٩ لاعادة بناء القوات المسلحة السورية . وعرضت الباحثة مرحلة السبعينات مشددة على اتفاقي كمب ديفيد كسبب أساسي لتوقيع

المعاهدة السورية ـ السوفياتية . وحول هذا نوهت الكاتبة بتأكيد وزير الاعلام السوري احمد اسكندر احمد على أن هذه المعاهدة«مختلفة اختلافاً بيناً عن تلك التي وقعتها موسكو حتى الآن مع اقطار عربية اخرى». ولكنها لا تذهب مذهبه اذ ترى فيها عناصر امست تقليدية منذ المعاهدة الأولى الشبيهة التي وقعت مع الهند . غير أن بيكار تناقض نفسها بعض الشيء عندما تجزم لاحقاً أن البند العاشر من المعاهدة يشكل بالفعل اتفاقاً دفاعياً بين البلدين كما تشير الى بنود عسكرية سرية تجعل على حد قولها المعاهدة مختلفة عن مثيلاتها . وتقارن بيكار بين المعاهدتين المعقودتين مع كل من دمشق وبغداد لتستخلص أن موسكو تضع حدوداً مهمة لهذه المعاهدات ومنها أساساً أنها لا تؤيد الطرف الآخر في أي من مبادراته ، لكنها تقدم له الدعم والعون عندما ترى أن ما يهدد هذا الطرف يهدد مصالحها في الآن نفسه .

وقد عالج د. **زهير شكر** المسألة نفسها مؤكداً أن « المعاهدة السورية ـ السوفياتية هي الحدث السياسي الأبرز لعام ١٩٨٠ بل ربما كانت اهم حدث شهدته المنطقة العربية منذ زيارة الرئيس المصري السابق لاسرائيل . » . ويرى الباحث أن توقيع المعاهدة كان تتويجاً طبيعياً لمسار سابق ولو أنه يشير الى عوامل حملت برأيه على تعجيل عقدها وهي : « الأوضاع السورية الداخلية ، الوحدة السورية ـ الليبية ، الحرب العراقية الايرانية ، الوجود الامريكي المتزايد في المنطقة واحتمال قيام اسرائيل باعتداء جديد على سورية نتيجة لاختلال توازن القوى الاستراتيجي بين العرب واسرائيل » . اما عن المضمون فيشير الباحث الى أن المعاهدة السورية السوفياتية « هي الوحيدة من بين سبع معاهدات تأتي على ذكر تطوير التعاون العسكري » ، من هنا يذهب الباحث الى حد التأكيد أن هذه المعاهدة « تشكل بداية تطور نوعي في نمط العلاقات السوفياتية ـ العربية ... فهي ليست معاهدة دفاع مشترك كتلك التي تربط دول اوروبا الشرقية بالاتحاد السوفياتي الا أنها ليست مجرد معاهدة صداقة وتعاون . إنها صيغة وسط بين التعاون وبين التحالف » . اما على صعيد النتائج المتوقعة للمعاهدة ، فيبدو الباحث متفائلاً جداً اذ يؤكد أنها « تشكل عائقاً امام التصلب الاسرائيلي واحتمال حرب واجتياح اسرائيلي للحدود السورية ولجنوب لبنان وهي ايضاً تحذير للولايات المتحدة لمراجعة سياستها الشرق اوسطية ... وستمكن المعادة الاتحاد السوفياتي من استعادة دوره الطبيعي في اي حوار او مفاوضات حول الشرق الاوسط ... الخ » وقد يكون د. شكر فيما اخذناه عنه ونتائج اخرى توقعها ، مبالغاً بعض الشيء .

بالمقابل تميزت الندوة بهجوم شبه متكامل على المبادرة الاوروبية من مصادر عربية وسوفياتية على السواء . يرى د. **عبد الغني ابو العزم** (المغرب) مثلاً أن هناك مشروعاً استراتيجياً امريكياً ، سوف يؤدي حتماً الى تدويل ازمة الشرق الاوسط وبالتالي فهو سوف « يجرّد المبادرة الاوروبية من كل فعالية واستقلالية وسيجعلها تدور باستمرار في الفلك الامريكي .. إن ضعف اوروبا وعدم استقلالها عن الهيمنة الامريكية سيزيد من تجريدها من كل امكانية للمساهمة في ايجاد حل سلمي » .

لقد نالت مبادرة الامير فهد قسطاً كبيراً من النقد فقد خصص لها د. **مصطفى جفال** ورقة من ٦٣ صفحة . وقد أشار فيها الى التوجهات السعودية في منطقة الخليج العربي ، والى طبيعة الانفاق العسكري السعودي وربط ذلك بالعلاقات الوثيقة مع الولايات المتحدة الامريكية كما أشار الى سياسة المملكة العربية السعودية ، ازاء امكانات « الفرز الاستراتيجي » بين القوى الجذرية والقوى المعتدلة ومنع ما يسميه البعض « ... بحدوث فراغ في المنطقة العربية» . وربما كانت الورقة مبنية على بعض الاعتبارات الاحادية الجانب التي لا تعطي صورة كافية عن تعقد هذه المسألة .

بالمقابل ادى حضور عدد لا بأس به من الباحثين الذين قدموا من دول اوروبا الشرقية الى عرض وافٍ وتفصيلي لوجهة نظر الاتحاد السوفياتي وحلفائه من الوضع القائم في المنطقة العربية ، وفي ذلك ولا شك احد العناصر الايجابية لهذه الندوة . فالسيد **ماركاريان** عبّر بصورة شبه رسمية عن الموقف السوفياتي مذكراً بدعوة بريجنييف لعقد مؤتمر دولي خاص لحل الصراع . وكانت ورقة السيد **بارتكو فلسكي** (بولندا) شبيهة من حيث تركيزها على الانتشار الاستراتيجي الامريكي الجديد في المنطقة . اما **انا بوكاسكا** (من بولندا ايضاً) فقد شنت هجوماً واسعاً على الرئيس المصري السابق . غير أن ورقة بوكاسكا تضمنت الاشارة الأوضح لمشروع الامير فهد وقد يكون من المفيد اقتباسها حرفياً : « استقبلت هذه الخطة استقبالاً حاراً في الغرب ، **وتتفق مع موقف البلدان الاشتراكية** (التشديد منّا) بيد أنها أوجدت انقسامات عميقة في اطار الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية . هناك سببان للنقد الموجه لخطة الامير فهد : السبب الأول يتعلق مباشرة بمضمون الخطة اذ يؤخذ عليها اغفال ذكر منظمة التحرير في النص ولكن بصورة خاصة الاعتراف غير المباشر باسرائيل . والسبب الثاني اكثر تعقيداً يستوحى من الموقف السياسي للعربية السعودية في المنطقة عبر ارتباطاتها الوثيقة ـ السياسية والاقتصادية ـ مع الغرب وخصوصاً مع الولايات المتحدة .... إن الجانب السلبي للخطة اذن هو انها زرعت الخلافات في تحالف جبهة الرفض اما جانبها الايجابي فيكمن في فرضها من جديد المشكلة الفلسطينية على الرأي العام العالمي » . وقد يستفاد من هذه الأفكار لتصور الموقف السوفياتي أن اعيد عقد قمة فاس : ما هو مثلاً موقف موسكو إن خفت حدة الخلافات التي تذكرها السيدة بوكاسكا ؟

لم نشر طبعاً في هذه الأسطر إلّا لنزر قليل من حصيلة الايام الخمسة من الاجتماعات ، ومئات الصفحات من الكتابات . وقد يعوّض عن تقصيرنا (الشرعي الى حد) النشر المتوقع لأعمال الندوة في كتاب ضخم سيسمح لكل قارىء بأن يختار ، وفق معاييره الذاتية ، الغث من السمين □

يَصدر قريبًا

عن

مركز دراسات الوحدة العربية

المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية

بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية